المؤثرون في حياة آدم عليه السلام بالإيجاب والسلب

(دراسة موضوعية من الكتاب والسنة)

الباحث

يحيى فرج هاشم فرج محمد

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على إمام الدعاة وسيد المصلحين سيدنا محمد،وعلى آله وصحبه أجمعين000أما بعد:

فإن فى قصص الأنبياء والرسل-صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-،الطافا تدعو إلى محاسن الأخلاق، وعبرا تردع عن الشك والنفاق،وأن ذكر أخبارهم وآثارهم مما يقرب من الطاعة والعبادة، و هم بطبيعتهم مؤثرون فى اتباعهم بما حباهم الله من صفات وأخلاق جعلت اتباعهم يتأثرون بهم، و لكن كان هناك أقوام كان لهم عظيم الأثر، بالتأثير فى حياة الأنبياء و الرسل،سواء بالإيجاب فى نشرالدعوة و الوقوف بجانب الرسل،أو بالسلب فى تعطيل سير الدعوة و تكذيب الأنبياء و الرسل، فأردت أن أسلط الأضواء على هؤلاء الأقوام ليكونوا قدوة لغيرهم فى الأقتداء بمحاسن الأخلاق، و البعد عن الشك و النفاق، و فيما يلي المؤثرون بالايجاب و السلب في حياة سيدنا آدم عليه السلام .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤثرون بالإيجاب والسلب في حياة آدم–عليه السلام–

التعريف به:

جاء فى مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهانى،حول ما قيل عن اشتقاق اسم آدم ما يلى :

"آدم:ابوالبشر.قيل:سمى بذالك لكون جسده من أديم الأرض.وقيل:لسمرة فى لونه.

يقال:رجل آدام،نحوأسمر.وقيل:سمى بذالك لكونه من عناصر مختلفه،وقوى متفرقة وقيل:سمى بذلك لما طيب به من الروح المنفوخ فيه وذالك من قولهم:الإدام،وهومايطيب به الطعام"([1]).

فآدم– عليه السلام–أبو البشر([2])،وأول الأنبياء ([3])،خلقه الله تعالى من تراب([4])،ونفخ فيه من روحه ([5])،وأسجد له الملائكة([6])،وجعله خليفته في الأرض([7])ورد ذكره في القرآن الكريم في ثمانية سور([8]) و قد وردت قصته بجوانبها المتعددة كثيرا في القرآن الكريم مقارنة مع غيرها من قصص الأنبياء- عليهم السلام.

و من أبرز ملامح شخصيته– عليه السلام :

1- العلم: فقد عّلمه الله تعالى أسماء كل شيئ،قال تعالى:{وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}.([9])وذلك ليتمكن من العيش في الأرض وخلافته . حيث إن الغاية من خلقه–عليه السلام–هي خلافة الأرض . قال تعالى :{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } ([10]).

2- قوة الحجة وفصاحة اللسان: حيث منحه الله- تعالى- قوة الحجة في المجادلة وفصاحة اللسان في المواجهة . فقد ثبت في البخاري ومسلم حديث محاجة موسى لآدم- عليهما السلام- و فيه فقال:رسول الله- صلى الله عليه وسلم–:"فحج آدم موسى مرتين" ([11])

3- النسيان وضعف الإرادة : قال تعال : { وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} ([12]) يقول سيد قطب : "وعهد الله إلى آدم كان هو الأكل من كل الثمار سوى شجرة واحدة ،تمثل المحظور الذي لا بد منه لتربية الإرادة،وتأكيد الشخصية ،والتحرر من رغائب النفس وشهواتها بالقدر الذي يحفظ للروح الإنسانية حرية الانطلاق الإنسانية حرية

الانطلاق من الضرورات عندما تريد،فلا تستعبدها الرغائب وتقهرها. وهذا هو المقياس الذي الذي لا يخطئ في قياس الرقي البشري"([13])

المطلب الأول:المؤثرون بالإيجاب

1- سجودالملائكة لآدم

2- حواء زوج آدم

3 – ولده شيث (هبة الله)

4- الغراب

أولا: سجود الملائكة لآدم

قال تعالى:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}([14])

تعريف السجود لغة و اصطلاحًا:

أولاً: السجود لغة: السجود هو: التذلل والخضوع مع انخفاض بانحناء وغيره([15])، يقال سجد،إذا تطامن.وكل ما ذل فقد سجد. يقال أسجد الرجل، إذا طأطأ رأسه وانحنى ([16]) قال تعالى:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا}([17])

ثانيًا: السجود اصطلاحًا: خص في الشرع بوضع الجبهة على الأرض بقصد العبادة.

وللعلماء في كيفية السجود الذي أمر الله به الملائكة لآدم أقوال:أرجحها أن السجود المأمور به في الآية يحمل على المعنى المعروف في اللغة،أى:أن الله- تعالى-أمرهم بفعل تجاه آدم يكون مظهرًا من مظاهر التواضع والخضوع له تحية وتعظيما،وإقرارا له بالفضل دون وضع الجبهة على الأرض الذي هو عبادة، إذ عبادة غير الله شرك يتنزه الملائكة عنه.([18])

سجود الملائكة لآدم :

قال تعالى:{فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ}([19])"فكانت الطاعة لله،والسجدة لآدم،أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته "([20])،" قال الزمخشرى:"السجود لله تعالى على سبيل العبادة،ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم،وأبوى يوسف وإخوته له؟([21])"إنه التكريم في أعلى صوره،لهذا المخلوق الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء،ولكنه وهب من

الأسرار ما يرفعه على الملائكة.لقد وهب سرالمعرفة،كما وهب سرالإرادة المستقلة التي تختار الطريق..إن ازدواج طبيعته،وقدرته على تحكيم إرادته في شق طريقه،واضطلاعه بأمانة الهداية إلى الله بمحاولته الخاصة...إن هذا كله بعض أسرارتكريمه.ولقد سجد الملائكة امتثالاً للأمرالعلوي الجليل"([22])"وفي هذه الآية دلالة على شرف الإنسان على غيره من المخلوقات،وعلى فضل العلم على العبادة،فإن الملائكة أكثر عبادة من آدم ولم يكونوا أهلا لاستحقاق الخلافة،وعلى أن شرط الخلافة العلم بل هو العمدة فيها،وعلى أن آدم أفضل من هؤلاء الملائكة لأنه أعلم منهم،والأفضل هو الأعلم بدليل قوله تعالى:{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ}([23]) ([24]).

2- حواء زوج آدم :

التعريف بها:

حواء هى أم البشرالأولى،وزوج أبيهم الأول النبى الكريم آدم -عليه السلام-"وبعد تمام خلق آدم أخرج الله له من ضلعه الأيسر زوجته حواء؛ ليكونا أول أسرة بشرية، يجمعها الترابط، وتتمتع بالمودة الرحمة،ويشعر كل طرف بدور الآخر معه،فآدم -عليه السلام- يدرك دور حواء في مؤانسته،وهو-عليه السلام- الموحى إليه،ومهمته مواجهة الصعاب والمشاق؛لتعميرالأرض بخلافة الله التي اختصه بها،يقول تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً}([25]) وعلى الإنسان أن يتذكر دائما أنه يرجع في وجوده وتكوينه،إلى أبويه"آدم وحواء"،عن أبي هريرة،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«00 والناس بنو آدم وآدم من تراب»([26])،وقد خلقت حواء من ضلع آدم؛ولذلك فطرت على التعلق بالرجل،وسكن آدم وزوجته الجنة،وجاءه أول تكليف من ربه،حيث قال الله له:{وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا}"([27]) ([28])

"{اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ 00}فهو سكن الزوج إلى زوجته الصالحة التي تخفف عنه عناء الحياة وهمومها،تبتسم في وجهه إن كان مسرورا وتهديء من غضبه إن كان مغضبا،تحتويه بما لديها من حب وحنان وإخلاص..هذا هو السكن المعنوي،سكن القلب"([29]).،وهذا"من ألوان التكريم الإلهي للإنسان إسكان آدم وحواء في الجنة في بدء الخلق،ليكون تمهيدا لمصير

أهل الاستقامة في نهاية الخلق،ولكن الحكمة الإلهية اقتضت إعاشة الإنسان في الأرض،لتعميرالكون، وتكاثر النوع الإنساني،وإظهار مزيته في جهاد النفس والهوى والشيطان"([30])

دورها فى حياة آدم عليه السلام خلق الله:"من نفس آدم- عليه السلام- زوجا يسكن إليه،ملبيا لحاجاته الفطرية- نفسية وعقلية وجسدية - بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار،ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء والمودة والرحمة، لأن تركيبهما الجسدي والنفسي والعصبي ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما في الآخر،وائتلافهما لإنشاء جيل جديد، وأودعت نفوسهما هذه العواطف والمشاعر،وجعلت في تلك الصلة سكنا للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب،واستقرارا للحياة والمعاش،وأنسا للأرواح والضمائر،واطمئنانا للرجل والمرأة على السواء([31])،و فى هذه القصة بيان مكانة المرأة،وإفراد كبير لجانب مهم،ألاوهوالعنايةالجمة،والمكانة الجليلة للمرأة فى هذا الوجود،والتكريم الإلهى العزيز لها،ومن مظاهرذلك التكريم إقرارإنسانيتها ومخاطبتها بالنصوص.

2- ولده شيث([32])(هبة الله) :

"هو من أبناء آدم،وكان نبياً،واستمر في الدعوة إلى الله وإقامة شريعته في الأرض"(33)."عاش تسعمائة سنة وأثنى عشر سنة ومات لمضي ألف ومائة واثنين وأربعين سنة لهبوط آدم والي شيث تنتهي أنساب بني آدم كلهم"(34) يقول ابن كثير:" فلما مات آدم عليه السلام قام بأعباء الأمر بعده ولده شيث- عليه السلام- فلما حانت وفاته أوصى إلى ابنه أنوش فقام بالأمر بعده ثم بعده ولده قينن. ثم من بعده ابنه مهلاييل فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ولده خنوخ وهو إدريس-عليه السلام-على المشهور"(35)،وقال الطبرى:"ولما مضى لآدم من عمره مائة وثلاثون سنة،وذلك بعد قتل قابيل هابيل بخمس سنين،ولدت له حواء ابنه شيثاوقال لها جبرئيل حين ولدته:هذاهبة الله بدل هابيل،00وإليه أوصى آدم،"(36)" أمر بني آدم من أنس ومن الجن شيث (شيث) اسم عبراني وتفسيره باللسان العربي خلف وشايث باللسان السيرياني وتفسيره بالعربي نصب؛ لأن عليه نصب الدنيا على ذريته ليس على الدنيا ذرية شيث وجميع ولد بني آدم أغرقهم الطوفان فقام شيث في الأرض

وخليفة بأمر الله يصدع بالحق وذلك أن بني آدم وبني البنين انتشروا في الأرض يبنون ويغرسون فتنافسوا فيها وطغى بعضهم على بعض فأنزل الله على شيث خمسين صحيفة في صلاح الأرض يدعو الثقلين الجن والأنس وكان شيث مخبولاً على القراءة ولا يكتب.فأنزل الله شريعة آدم في نكاح الأخ للأخت لأن آدم- صلى الله عليه و سلم- كان يزوج الأخ من الأخت إذا اختلفت البطون فأتت شريعته بخلاف ذلك ولا يزوج إلا ما تباعد نسبه كبنات العم وغير ذلك. قال الله تعالى:{ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}(37).فأنكر عليه ذلك بنو آدم و سرجوا، فقام فيهم بأمر اللهن و غلب عليهم الله حتى تمت كلمة الله وعمت دعوته" (38).

2- الغراب ودوره فى تعليم ابن آدم :

التعريف به:

الغراب:معروف،وسمي بذلك لسواده. ومنه قوله تعالى:{ وَغَرَابِيبُ سُودٌ }([39]) وهما لفظان بمعنى واحد ،وجمعه غربان وأغربة وأغرب وغرابين وغرب،وكنيته أبو حاتم وأبو جحادف وأبو الجراح وأبو حذر وأبو زيدان وأبو زاجر وأبو الشؤم وأبو غياث وأبو القعقاع وأبوالمرويقال له ابن الأبرص وابن بريح وابن داية،وهو أصناف:الغداف والزاغ والأكحل،وغراب الزرع والأورق.وهذا الصنف يحكي جميع ما يسمعه.والغراب الأعصم عزيزالوجود([40])،و"هو طائر يتنكد به ويتطيرمنه،آكل جيف،رديء الصيد،وكلما كان أجهل وأنذل كان أبلغ في التوبيخ والتقريع،فأخبرأنه مبعوث،وأنه هواختاره لذلك من بين جميع الطير"([41]).

قال تعالى:{فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ}([42]) قال المفسرون:إن قابيل لما قتل أخاه تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به، لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بني آدم، فحمله في جراب على ظهره حتى أَرْوَحَ([43]) {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ}، يثير التراب من الأرض.يبحث في الأرض على غراب ميت {لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ} كيف يستر جيفة أخيه قال قابيل:يا ويلتى أي:قد لزمني الويل بحملي جيفة ميت قال ابن عباس:وكانا غرابين اقتتلا فقتل أحدهما صاحبه،وقابيل ينظر،ثم بحث في الأرض حتى جعل له حفرة فدفنه فيها، ففعل قابيل مثلما فعل الغراب([44])

ماالحكمة فى بعث الغراب؟

قال صاحب البحرالمحيط:"ويظهرأن الحكمة في أن كان هذا المبعوث غرابا دون غيره من الحيوان ومن الطيوركونه يتشاءم به في الفراق والاغتراب،وذلك مناسب لهذه القصة"([45]).

وقال ابن القيم:"وتأمل الحكمة في ارسال الله تعالى لابن آدم الغراب المؤذن اسمه بغربة القاتل من اخيه وغربته هو من رحمة الله تعالى وغربته من ابيه وأهله واستيحاشه منهم واستيحاشهم منه وهو من الطيورالتي تنفر منها الانس ومن نعيقها وتستوحش بها فأرسل اليه مثل هذا الطائر حتى صار كالمعلم له والاستاذ وصار بمنزلة المتعلم والمستندب"([46])

وقال السيوطى([47]):"والحكمة في بعث الغراب لاسوداده،ولما كان القتل مستغربًا إذ لم يكن معهودًا قبل ذلك ناسب بعث الغراب إليه،ولهذا اشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب الغريب"([48]).

مسألة دفن الميت :

و"دفن الميت لوجهين:أحدهما:لستره.الثاني:لئلا يؤذي الأحياء بجيفته"([49]).

تعلم الإنسان من غيره من المخلوقات:

"وكانت وسيلة التعليم والتربية في القصة أن بعث الله خلقا من مخلوقاته هو الغراب؛ليظهرللإنسان ضعفه ويعلمه كيف يدفن أمواته،وسواء أقتل الغراب غرابا آخر معه ثم حفر له أو جاء إلى غراب ميت، فدفنه؛ فإن الله هو الذي أودع هذه الغريزة في هذا الحيوان ليعلم الإنسان وليأخذ منه العظات والعبر، وليكون وسيلة أيضا لبيان أحكام شرعية تتعلق بحماية الإنسان في الأرض"([50]).

"و من عادة الغراب دفن الأشياء فلما رأى قابيل ذلك تنبه لما يجب أن يفعل فاستصغر نفسه لقصوره عنمعرفة مااهتدى إليه الغراب،فأخذ يتحسر،ويتولول وندم ندماً لا يثنيه ولا يحد به"([51]) وهذا إن دل فإنما يدل على عظم منة الله ورحمته وستره لابن آدم وأنه أكرمه بالدفن وستر عورته وسوأته،ولم يجعله مثل ميتة غيره من الحيوانات التي إذا ماتت طرحت على وجه الأرض كسائر الجيف تأكلها الطيوروتنهشها السباع وتسفي عليها الرياح فله الحمد والشكر على ذلك.

المطلب الثانى:المؤثرون بالسلب

1-الشيطان

عداء الشيطان لأبينا آدم منذ خلقته:شاء الله- تعالى- أن يخلق على ظهر الأرض موجودًا ،يكون خليفته فيها يحمل قبسًا من صفاته، وتسمو مكانته على مكانة الملائكة،وشاء الله سبحانه أن تكون الأرض ونعمها وما فيها من كنوز ومعادن و إمكانات تحت تصرف هذا الإنسان،الذى يحتاج إلى قابليات وإستعدادات خاصه،كى يستطيع أن يتولى هذه المهمة الثقيلة. قال تعالى:{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ*فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ*فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ*إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}([52])

" إن الله -سبحانه-أعلم الملائكة قبل خلق آدم-عليه السلام- بأنه-سبحانه-سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون،وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته أن يسجدوا له إكرامًا له وإعظامًا واحترامًا لأمر الله-عزوجل-فامتثل الملائكة سوى إبليس،ولم يكن منهم جنسا،بل كان من الجن،فخانه طبعه وجبلته،فاستنكف عن السجود لآم،وخاصم ربه-عز وجل- فيه،وادعى أنه خير منه،فإنه مخلوق من نار،وآدم خلق من طين،والنار خير من الطين في زعمه،وقد أخطأ في ذلك وخالف أمرالله وكفر بذلك، فأبعده الله وأرغم أنفه،وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه،وسماه إبليس إعلاما له بأنه قد أبلس-أي:يئس— من الرحمة،وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض"([53])

وهنا يعلق الطبرى قائلا:

" فبعد أن خلق الله سبحانه آدم،وأمر الملائكة أن تسجد له وحدث كفر إبليس ومعصيته،أراد الله جل جلاله أن يمارس آدم مهمته على الأرض،لكن قبل أن يمارس مهمته،أدخله الله فى تجربة عملية على المنهج الذى سيتبعه الإنسان على الأرض،وعلى الغواية التى سيتعرض لها من إبليس،فرحمة الله سبحانه أن لايبدأ آدم مهمته فى الوجود على أساس نظرى،لأن هناك فرق بين النظرية والتجربة"([54])

كيد الشيطان لآدم-عليه السلام-في الجنة:قال تعالى:{وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ *فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}([55])

" انظر كيف يوسع الله على عباده في الحلال وفي الأكل ثم يحرم عليهم القليل الضار،اختبارا لهم وامتحاناً.أما الشيطان إبليس العدو المبين فلم يترك آدم وزوجه يتمتعان بالنعيم،بل وسوس وزين لهما الأكل المحرم من الشجرة، فوسوس لهما الشيطان ليكون عاقبة تلك أن يبدي لهما ما ورى عنهما وستر من عورتهما، وهل هذه كناية عن شهوتهما التي ظهرت فجأة بعد استتارها.أو هي العورة الحقيقية؟ فكان عمل إبليس عمل من يثير الغرائز،ويظهر الدفائن المكنونة في الإنسان من عوامل الفساد. وقال إبليس:ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين،لكما من الخصائص ما للملائكة في القوة والبطش وطول الأجل،أو تكونا من الخالدين فيها. ثم أقسم لهما قسمًا مغلظًا:إني لكما لمن الناصحين المخلصين،ثم بعد هذا ما زال يخدعهما بالترغيب، وبالوعد،وبالقسم،حتى نسيا موقفهما من الله و أمره إليهما،وأسقطهماعما كانا فيه من مكانة ومنزلة وطبيعة. قال تعالى:{وَلَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً}([56]) فلما ذاقا الشجرة،وأكلا منها،بدت لهما عوراتهما،وكانت مستورة،وأحسا بالغريزة الجنسية.ونادهما ربهما: ألم أنهكما عن تلكما الشجرة؟ و أقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين،فاحذروه،واجتنبوه:{فَقُلْنا يا آدَمُ إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقى}([57]). قالا:ربنا ظلمنا أنفسنا بمخالفتك وطاعة الشيطان عدونا وعدوك وإن لم تغفر لنا وتستر ذنبنا،لنكونن من الخاسرين الذين خسروا الدنيا و الآخرة:{فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}([58]) قال: اهبطوا- والخطاب لآدم وحواء وإبليس-اهبطوا بعضكم لبعض عدو في الدنيا،ولكم فيها استقرار وسكون إلى أجل مسمى عند الله. ولكم فيها متاع إلى أجل محدود.([59])

ثمَّ انتهى الحال بآدم وزوجه أن ﷺأهبطا إلى الأرض - بسبب اللَّعين - وبذلك فارقا النعيم و رغَد الْعيش والراحة والاستقرار إلى دار الْبلاء والنصب والعناء كما،أهبط معهما إبليس -

لعنة الله عليه -يقول- عزوجل- {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}([60]).

2-قابيل وهابيل وأول جريمة قتل على وجه الأرض؛ قال تعالى:{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبا قُرْباناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قالَ إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}([61]) "يسوق الله هذه القصة ليبين طبائع النفوس الموروثة وما يفعله الحسد الكامن والداء الباطن،الذي يقضى على أقوى سبب وأمتن رابطة وهي الأخوة،وكيف كان السبب في أول قتيل في الأرض؟؟"([62])

"وسبب القصة:أن الله تعالى شرع لآدم عليه السلام أن يزوج بناته من بنيه لضرورة الحال، فكان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى، فيزوج أنثى هذا البطن لذكر البطن الآخر،وكانت أخت هابيل دميمة،وأخت قابيل وضيئة، فأراد أن يستأثر بها على أخيه، فأبى آدم ذلك،إلا بتقريب قربان،فمن تقبل منه فهي له، فتقبل من هابيل، ولم يتقبل من قابيل، فتقبل الله من هابيل قربانه وهو الكبش السمين لتقواه وإخلاصه، ولم يتقبل من قابيل قربانه وهو زرع قليل من سنبل القمح، لقلة التقوى والإخلاص.

قتل الأول أخاه، بغيا عليه،وحسدًا له فيما وهبه الله من النعمة وتقبل القربان الذي أخلص فيه لله عز وجل، ففاز المقتول بالمغفرة ودخول الجنة، وخاب القاتل وخسر في الدارين"([63])

أخرج البخارى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ»([64])

"فهذه القصة التي حكاها القرآن الكريم تصف لنا نموذجين من البشر تمكنت من أحدهما روح الاعتداء، كما تمكنت روح الطيبوبة من الآخر، وهما وجها لوجه، دون رادع يردع الأول من الثاني:النموذج الأول: نموذج الإنسان النزاع إلى الشر، الميال إلى العدوان، المصر على الأذى، المتعدي للحدود.

النموذج الثاني:نموذج الإنسان النزاع للخير،الميال إلى الإنصاف،الحريص على الإحسان،المتمسك بالتقوى،وتبين لنا نفس القصة أنه عندما واجه كل واحد منهما

الآخربمفردهما ولم يتدخل بينهما عنصر ثالث، ليردع الإنسان الشرير،ويحول بينه وبين الاعتداء على الإنسان الخير،كان عنصر الخير هوالضحية والفريسة لعنصر الشر،ولم تنفع تقوى المتقي أمام عدوان المعتدي.

و من هنا اقتضت حكمة الله تشريع الحدود الرادعة عن ارتكاب الجرائم،وإقامة السلطة التي تقوم بتنفيذها، وتتولى مطاردة المجرمين،وحماية الأرواح والأموال والطرق،من اعتداء المعتدين حتى لا يعكروا صفو الحياة على بقية الناس الآمنين"([65]).

"والعبرة فى قصة ابني آدم أن الحسد كان مثار أول جناية فى البشر،ولا يزال هو أسّ المفاسد فى المجتمع،فترى الحاسد تثقل عليه نعمة الله على أخيه نسبا أو جنسا أودينا فيبغى عليه ولو بما فيه ضرر له ولهذا المحسود،والأمة التي تنتشر بين أفرادها هذه الرذيلة قلما تتوجه همم أبنائها إلى ما يرقى شأنهم بين الأمم الأخرى،وقلما يتعاونون على ما فيه صلاحهم وتقدمهم فى سائر مرافق الحياة فيصبحون عبيدا لسواهم بعد أن كانوا سادة،وأذلاء بعد أن كانوا فى عزة وبلهنية من العيش.([66])

و"هذه القصة تثبت أن الغيرة والحسد يؤديان إلى الاعتداء،وأن ذلك يحدث بين أقرب الناس بعضهم لبعض،وأنه لا علاج للحسد إلابإخراجه من النفوس،فهو فيها دفين،نعم إنه مرض،ولكنه مرض لا يمكن أن يكون منه شفاء،والناس ليسوا سواء فمنهم شقي وسعيد"([67]).

ولا يخفى على النفس ما في هذه الحادثة الأليمة من أذى نفسي لآدم وزوجه أن تقع الفتنة بين فْلذَتي كبديهما ، وألم عميق لفقد أحدهما وبهذه الطَّريقة البشعة،وما فيها من ذكرى شئيمة لتمكُّن اللَّعين منهما قبل ذلك ،وقَلَق وضيق من وجود عدو يتربص بمستقبل ذريتهما من حولهما وذريتهما الذين قد لا يدركانهم، وهكذا كانت الحال وستبقى منذ وجود إبليس -لعنه الله - وجنوده وذريته على ظهر الأرض، صراع دائم مع بني آدم ، وتربص مدروس بهم، ومحاولات دائبة في إضلالهم وإيقاعهم في الزلَل ، حتى يأتي الله بالأجل الذي ضربه للَّعين في اليوم المعلوم.

الخـاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد فقد انتهيت بعون الله وتوفيقه من إتمام هذا البحث،وإننى أرجو الله تبارك وتعالى أن يجعل عملى المتواضع هذا خالصا لوجهه الكريم،وأن يكتب لهذه السطور القبول والرضا .

لقد هدفت هذه الدراسة إلى معالجة جانب مهم من جوانب الحياة وهو تسليط الضوء على المواقف الإيجابية التى قام بها المؤثرون فى حياة ادم عليه السلام حتى يكونوا قدوة لغيرهم،ثم تسليط الضوء على المواقف السلبية التى أثرت سلبًا على حياة حياة آدم- عليه السلام- حتى يتركوها ويتخلوا عنها .

المراجع

1) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله –صلى الله عليه وسلم – وسننه وأيامه – صحيح البخاري: محمد بن اسماعيل ابوعبدالله البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير بن الناصر، الناشر: طوق النجاه (مصورة عن السلطانية باضافة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي) طبعة 1، 1422هـ

2) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – الفجالة – القاهرة – طبعة 1: تاريخ النشر: يناير 1997

3) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: أبوعبدالله محمد بن أحمد بن ابي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت:671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وابراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة طبعة 2، 1384هـ - 1964م.

4) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة. طبعة: 1، 1420هـ - 2000م، تحقيق: د/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام. طبعة 1، 1422هـ - 2001م.

5) تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، طبعة: 1، 1365هـ - 1946م.

6) تفسير الشعراوي – الخواطر: محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم نشر عام 1997م.

7) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك وصلة تاريخ الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي ت: 369هـ)، الناشر: دار التراث – بيروت، ط: 1- 1389هـ.

8) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي، أبو اسحاق، (ت: 427هـ)، تحقيق: الإمام ابي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ/ نظير الساعدي، الناشر: دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: 1، 1422هـ - 2002م.

9) دعوة الرسل –عليهم السلام – : أحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1423هـ - 2002م.

[1] ـ المفردات للراغب الأصفهانى ، ص 70.

[2] ـ لحديث الشفاعة الطويل . وفيه " : فيقول بعض الناس : أبوكم آدم . فيأتونه فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر , خلقك الله بيده" ...
رواه البخاري . انظر : البخاري : صحيح البخاري . كتاب أحاديث الأنبياء . باب قول الله عز وجل{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ} [هود 25] . رقم الحديث (3340) . ج2 ص135 .
[3] ـ لحديث أبي أمامة أن رجلا قال : يا رسول الله أنبي كان آدم ؟ قال " : نعم معلم مكلم . " رواه أحمد والحاكم . انظر : أحمد بن حنبل :المسند ،ج5 ،ص266، الحاكم : المستدرك على الصحيحين،وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي في
الذيل،ج22 ،ص 262 .
[4] ـ لقوله تعالى :{ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }. [آل عمران : 59] .
[5]ـ لقوله تعالى:{ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ}.[الحجر: 28] .
[6]ـ لقوله تعالى:{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}.[البقرة: 34] .
[7]ـ لقوله تعالى:وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}.[البقر: 30] .
[8] ـ هي : البقرة : الآيات (31 ، 33 ، 34 ، 35 ، 37) .آل عمران : الآيتان (33 ،59) . الأعراف : الآيا ت (11 ، 19 ، 27 ، 172) . الحجر: الآيات (28 -33) .الإسراء : الآية(61) . الكهف : الآية (50) . طه : الآيات (115 ، 116 ، 117 ، 120 ، 121) . ص: الآيات (71 – 75) .
[9]ـ سورة البقرة: (الآية 31) .
[10]– سورة البقرة: (الآية30) .
[11]– صحيح البخاري:كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى،وذكره بعده ،ج4،ض 158،حديث رقم (4309)،صحيح مسلم :كتاب القدر . باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ،ج4 ،ص 2042،رقم الحديث(2652).
[12]– سورة طه :(الآية 115) .
[13]– في ظلال القرآن:سيدد قطب،ج4،ص2353.
[14]– سورة البقرة:(الآية 34).
[15]– التفسير الوسيط للقرآن الكريم:محمد سيد طنطاوي،ج 1،ص 97.
[16] –معجم مقاييس اللغة:أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، [بَابُ السِّينِ وَالتَّاءِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا]،مادة(سجد)،ج3،ص134،تحقيق:عبد السلام محمد هارون،الناشر:دار الفكر،عام النشر:1399هـ– 1979م.
[17]–سورة البقرة :(الآية34) .
[18] – التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي،ج1،ص 98.
[19] –سورة الحجر :(الآية 30) .
[20] –جامع البيان:الطبري،ج1،ص512، تفسير القرآن العظيم:ابن كثير،ج1،ص231.

[21] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:الزمخشري،ج1،ص126، 127.

[22] – في ظلال القرآن:سيد قطب،ج1،ص57.

[23] – سورة الزمر:(الآية 9) .

[24] – تفسير المراغي:أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)،ج1،ص85،الناشر:شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر،الطبعة:الأولى، 1365 هـ- 1946 م.

[25] –سورة النساء: (الآية1).

[26] –رواه الترمزى: فى أبواب المناقب،ج5،ص735،حديث رقم(3956)،وقال هذا حديث حسن صحيح.

[27]– سورة البقرة:(الآية35) .

[28] – دعوة الرسل عليهم السلام:أحمد أحمد غلوش،ج1،ص42.

[29]– تفسير الخواطر:محمد متولي الشعراوي،ج13،ص8126

[30]– التفسير الوسيط:دوهبةالزحيلي،ج1،ص24.

[31]– الإسلام أصوله ومبادؤه: محمد بن عبد الله بن صالح السحيم،ج2،ص38،الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية،الطبعة: الأولى، 1421هـ

[32]–"وكان شيث بن آدم أجمل ولد آدم وأفضلهم، وأشبههم به، وأحبّهم إليه وكان وصيّ أبيه ووليّ عهده، وهو الّذي ولد البشر كلّهم، وإليه انتهت أنساب الناس وهو الّذي بنى الكعبة بالطين والحجارة، وكانت هناك خيمة لآدم، وضعها الله له من الجنة. وأنزل الله على شيث بن آدم خمسين صحيفة. وعاش شيث تسعمائة سنة واثنتي عشرة سنة"انظر. المعارف: بن قتيبة الدينوري،ج1، ص20

[33]- موجزالتاريخ الإسلامي:أحمد معمور العسيري،ج1،ص13

[34] -الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: عبد الرحمن بن محمد،ج1،ص41

[35] - البداية والنهاية:بن كثير،ج1،ص99.

[36]- تاريخ الطبري: بن جرير،ج1، ص152.

[37]– سورة المائدة:(الآية48).

[38]– التيجَان في مُلوك حِمْيَرْ:عبد الملك بن هشام،ج1،ص27.

[39]–سورة فاطر:(الآية27).

[40]–حياة الحيوان الكبرى:الدميري،ج2،ص235–236

[41]– الحيوان:عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي،أبوعثمان،الشهيربالجاحظ (ت: 255هـ)،ج3،ص194،الناشر:دارالكتب العلمية – بيروت،الطبعة:الثانية، 1424 هـ

[42]– سورة المائدة:(الآية31).

[43] – أَرْوَحَ:يقال أروح الماء وغيره:تغيرت رائحته.انظر معجم مقاييس اللغة:ابن فارس،ج2،ص454،مادة(روح)،ويقال:وأروح اللحم: تغيرت رائحته،وأراح اللحم أي أنتن،لسان العرب:ابن منظور،ج2،ص458.

[44] – الوسيط في تفسير القرآن المجيد:أبوالحسن النيسابوري،ج2،ص 179.

[45] –البحر المحيط في التفسير:أبوحيان الأندلسي،ج4،ص234.

[46] –مفتاح دار السعادة:ابن قيم الجوزية،ج1،ص239،الناشر:دار الكتب العلمية – بيروت.

[47] - عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: (849 - 911 هـ = 1445 - 1505 م) إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو 600 مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. نشأ في القاهرة يتيما (مات والده وعمره خمس سنوات) ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، منزويا عن أصحابه جميعا، كأنه لا يعرف أحدا منهم، فألف أكثر كتبه ،ومن كتبه (الإتقان في علوم القرآن - ط) و (إتمام الدراية لقراء النقاية - ط) كلاهما له، في علوم مختلفة، و (الأحاديث المنيفة - خ) ، و (الأرج في الفرج - ط) و (الاذدكار في ما عقده الشعراء من الآثار - خ) و (إسعاف المبطإ في رجال الموطأ - ط) و (الأشباه والنظائر - ط) في العربية، و (الأشباه والنظائر - ط) في فروع الشافعية، و (الاقتراح - ط) في أصول النحو، و (الإكليل في استنباط التنزيل - ط) و (الألفاظ المعربة - خ) و (الألفية في مصطلح الحديث - ط) و (الألفية في النحو - ط) و (تفسير الجلالين - ط) الأعلام:الزركلي،ج3،ص301-301

[48] –معترك الأقران في إعجاز القرآن:جلال الدين السيوطي،ج3،ص80

[49] –أحكام القرآن:ابن العربي،ج2،ص86

[50] – التربية في عصور ما قبل الإسلام وبعده:عباس محجوب،ج1، ص103،الناشر:الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة:الطبعة:رجب – ذو الحجة 1400هـ/1980م

[51] – تفسير الراغب الأصفهاني: الأصفهانى،تحقيق ودراسة: د.محمد عبد العزيز بسيوني،الناشر:كلية الآداب – جامعة طنطا

،الطبعة الأولى: 1420 هـ – 1999 م،ج4، ص328

[52] –سورة ص:(الآيات71 –74) .

[53] –تفسير القرآن العظيم:ابن كثير،ج7،ص81،المحقق:سامي بن محمد سلامة،الناشر:دار طيبة للنشر والتوزيع.

[54] –جامع البيان:محمد بن جرير،ط:مصطفى الحلبى،ط:3،ج1ص189.

[55] – سورة البقرة :(الآيتان 35 –36) .

[56] – سورة طه:(الآية115) .

[57] – سورة طه:(الآية117) .

[58] – سورة البقرة:(الآية37) .

[59] – التفسيرالواضح: الحجازي،محمد محمود،ج1،ص 703

[60] – سورة البقرة :(الآية36).

[61] –سورة المائدة:(الآية27) .

[62] –التفسير الواضح:الحجازي،محمد محمود،ج1،ص504

[63] –التفسيرالمنيرفي العقيدة والشريعة والمنهج:د وهبة بن مصطفى الزحيلي،ج6،ص153.

[64] –انظرصحيح البخارى:كتاب أحاديث الأنبياء،باب:(خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ)،ج4،ص 133،رقم الحديث:(3335) ،ورواه البخارى أيضا: بَابُ :(إِثْمِ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ، أَوْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً)،ج9،ص103،رقم الحديث:(7321) ؛ ومسلم:(بَابُ بَيَانِ إِثْمِ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ)،ج3،ص 1303،رقم الحديث:(1677)،سنن الترمزى:(باب ما جاء الدال على الخير كفاعله)،ج5،ص42،رقم الحديث:(2673) .،سنن النسائى:،كتاب تحريم الدم،ج7،ص81،رقم الحديث:(3985) [حكم الألباني] صحيح؛وسنن ابن ماجه: باب: التغليظ فى قتل المسلم،ج2،ص873،رقم الحديث:(2616) [حكم الألباني]) صحيح لغيره

[65]–التيسير في أحاديث التفسير :محمد المكي الناصري،ج2،ص48 –49.

[66]–تفسير المراغى:أحمد مصطفى المراغى بك،ج6،ص 108،ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر].

[67]- المعجزة الكبرى القرآن:محمدأبو زهرة،ج1،ص 146.